﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

المسلمون في الغرب . . وحملات التشويه

د. أحمد المرايات

يتعرض الإسلام والمسلمون اليوم وبشدة لحملات من التشويه والتعريض بالقيم والثوابت الإسلامية لحدّ يدعو للخوف من احتمالات لا تحمد عقباها وخاصة في بلاد الغرب .

كثيراً ما يحيل المسلمون الأمر إلى تعصب الغرب وكره الغرب للإسلام وذاكرة الغرب التاريخية ومنها الحروب الصليبية والاستعمار .. وقليل منهم من يحيل الأمر لعوامل ذاتية وأخطاء منهجية يقوم بها المسلمون أنفسهم ويكونون بذلك سبباً في زيادة تحامل الغرب على الإسلام والمسلمين! والمسلمون في الغرب لهم ظروفهم ولهم إمكاناتهم وكذلك لهم احتمالات مستقبلية متعلقة إيجاباً أو سلباً ، بحسن تصرفهم وبما يقدمونه من جهود .

وقبل لفت النظر لبعض العوامل والمؤثرات وكذلك بعض السلوكيات والفعاليات التي تلعب دوراً بارزاً في التطورات واحتمالات المستقبل لا بد للمسلم بادئ ذي بدء من أن ينطلق من ثوابت دينه وعقيدته ، فهو يثق بأنه على الحق ، ويؤمن بأنه صاحب العقيدة التي يرضى عنها الله وهو متمسك بها : ﴿ **وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ** ﴾ [القلم : ٩] ويصر على التوجه إلى الله ومفاصلة المجتمع غير المسلم عقيدياً ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ ۞ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾ [الكافرون : ١-٦] .

وبعد تمكن هذه الثوابت في نفسه وانطلاقه في المجتمع مرتكزاً على الفهم الصحيح لها يمكنه أن يؤثر في المجتمع تأثيراً إيجابياً إذا قدم جهوداً على مستويات :

١- **الأخلاق والقدوة الحسنة في السلوك** : فهو في المجتمع الغربي عنوان النظافة والانضباط والنظام ، وهو صاحب الخلق الذي يحترم الكبير والضعيف ،

وهو الصدوق المتمسك بالحق ولو خالف مصالحه ، وهو الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ..

٢- السعي لتقديم **انجازات** في المجتمع الغربي على كل المستويات وعدم البقاء في حدود الخدمات والاستهلاك ، فلا بد من بروز المسلم على المستوى الثقافي وبروزه على المستوى الاجتماعي وذلك بربطه لعلاقات مع من يلتقي به من جيرانه الغربيين في كل المحافل ، وكذلك بروزه على المستوى الاقتصادي فيسعى لتحسين إنتاجه كماً ونوعاً واتقانه والاستفادة من أفضل الأساليب العلمية في ذلك وهكذا ..

٣- **وفي مجال الأسرة** : لا بد من الانتباه لتربية الأجيال التي ستتعامل مع هذا المجتمع وتتعايش معه ، وهو مجتمع له دينه وعاداته وتقاليده ، وهم جزء من هذا المجتمع سيحبهم أو يكرههم .

فثباتهم على عقيدتهم ومبادئ شريعتهم السمحاء لا يعني أبداً أن لا يكونوا في هذا المجتمع من العناصر النافعة والرافعة لمستواه الخلقي والأدبي ، ولا يمنعهم أن يكونوا من المكرّمين المحبوبين المحترمين .

٤- والمسلم الفاعل لا بد له من معرفة **ثقافة المجتمع** الذي يعيش فيه ومرجعياته الدينية خاصة ، وتاريخه والثوابت التي يتمسك بها ، ولا بد للمسلم من أن يقف من مرجعياتهم موقف الاحترام ولا يتعرض لها بالذمّ أو القدح لأن في ذلك امتهان لعقول هؤلاء التابعين ، وتشجيع لهم على الردّ الذي يقطع الطرق على التواصل مع هذا المجتمع والتأثير الإيجابي فيه ﴿ **وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ [الأنعام : ١٠٩] .

ولِلتعامَل مع الغرب بواقعية وتأثير لا بد من أن يكون واضحاً للمسلم أن الغرب يتعامل وعلى كل المستويات تعاملاً نديّاً مصلحياً ، ومبدأ سياسيّيهم ومنظريهم « ليس هناك صداقات ، ولكن هناك مصالح » .

٥- أما **المؤسسات الإسلامية والمفكرين** فهم المسؤولون عن إبراز مواقف المسلمين من القضايا المختلفة التي تستجدّ يومياً على الساحة واتخاذ الأسباب والوسائل لإيصال هذه المواقف المدروسة دراسة مستقبلية ودراسة اجتماعية نفسية لأصحاب القرار .. وهنا يجدر لفت النظر لضرورة تشكيل المجموعات التي تتصل بأصحاب التأثير في المجتمع في المستويات المختلفة والمهن المختلفة (صحافيين ، مفكرين ، سياسيين ..) لدور هؤلاء في التأثير على اتجاه القرارات ..

وأخيراً لا بد من مراجعة النفس باستمرار واتهامها بالتقصير ، فالمداومة على نقد الآخرين تبرئة للنفس وحث غير مباشر لها على ألا تغير ما فيها من العجز والضعف الذي مجموعه يؤدي لعجز وضعف الأمة .